٩٤ — الزراعة

أنّ الزّراعة هي أصل الحضارة، وهي التي أخرجت الانسان من طور البداوة الأولى . فقد كان أيام بداوته يعيش فيما نسمّيه الآن العصر الحجرّي يجتني الاثمار من الغابات ولا يعرف معنى للحكومة أو العادات الاجتماعية . فلمّا عرف الزراعة استقرّ وصار يبني بيته بجانب أرضه كما صار يستأنس البهائم للخدمة . وشرع يدرس الفلك لكي يضع لنفسه تقويماً يضبط به أوان الزّرع والحصاد . وعرف مبادىء الهندسة في الرّيّ والبناء . ثم عرف صنع الآنية . فنشأ الدّين وصارت له كهنته . وانتظمت له من ذلك عادات اجتماعية وقوانين تحافظ له على حقوقه وتحثّه على أداء واجباته . فالحضارة اذن تقوم على عوامل اقتصادية هي عوامل البيئة الزراعية . فانّ الانسان الهمجيّ الذي كان يطوف الغابات لم يكن يعرف شيئاً من الدّين أو الحكومة أو البناء أو صنع الآنية . فلمّا استقرّ بالزّراعة عرف كلّ هذه الأشياء . وقد خسر كما ربح من هذا الانقلاب الّذي هو أعظم انقلاب في تأريخ البشر . فانّه خسر حريّته ودخل في رقّ جديد فصار يسخّر كأنّه عبد . والواقع أن العامل الزّراعي في العصور القديمة لم تكن له سوى مكانة العبد . ولكنّه الى هذه الخسارة ربح طمأنينة العيش في ظل الحضارة . وقد نشأ من الزّراعة شيئان لم يكن يعرفهما الانسان في عصر البداوة والهمجية هما الحرب والرّقّ .

سلامه موسى